اعداد / أ.د. مختار رحاب

(الدرس6) : ثانيا: الأنساق والنظم الاجتماعية

توجد فروقات بين كلمتي :" نسق ونظام" حتى وان تم استخدامهما في العديد من الدراسات الاجتماعية كمترادفتين لمعنى واحد، ولكن تم التمييز بينهما في محطات أخرى من تطور الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية بالخصوص، على غرار ما وقع مع السوسيولوجي الأمريكي الشهير تالكوت بارسونز.

ومن أبرز النظم التي اهتم الأنثروبولوجيون بدراستها نجد :

- **نظام الزواج :**

لقد شكل الزواج ظاهرة مشتركة في كل المجتمعات البشرية قديما وحديثا، على اختلاف مللها ونحلها وشرائعها وقوانينها، وتباين ثقافاتها ولغاتها وعاداتها وتقاليدها، والزواج هو العملية الأساسية التي بموجبها يتحقق استمرار النسل، وبمقتضاها تتشكل أهم مؤسسة اجتماعية في حياة الانسان والمتمثله في الأسرة.

ومن أبرز التعريفات التي تمت صياغتها حول الزواج نذكر تعريف Stephens :" الزواج هو اتحاد شرعي اجتماعي جنسي، بدأ بإشهار عام، وبتعهد بشيء من الدوام والاستمرار، ويستند الى عقد زواج واضح كثيرا أو قليلا، والذي يحدد التعهدات المتبادلة بين الزوجين من ناحية، وبين الزوجين وأطفالهم في المستقبل من ناحية أخرى." [1]

وهنا لا بد من لفت الانتباه الى التفريق بين الزواج والتزاوج، فالتزاوج يقصد به ذلك الارتباط الذي يجمع بين الذكور والاناث بغرض الاشباع الجنسي أساسا، و تتميز تلك العلاقات بأنها تكاد تكون مؤقتة في الغالب، ولا تترتب عليها التزامات أو مسؤوليات على الأطراف التي تمارسها.

غير أن الزواج قبل النظر اليه على أنه وسيلة للاشباع الجنسي فهو رابطة لها معان سامية في العديد من المجتمعات والثقافات، وتترتب بموجبه مجموعة من الوظائف، وجملة من المسؤوليات والتكاليف على طرفي الزواج، أي الزوج والزوجة، كما يوفر الزواج في هذه الحالة الاشباع الجنسي للزوجين في

1- جيري لي: البناء الأسري والتفاعل، الكويت، 2006.

اعداد / أ.د. مختار رحاب

اطار مشروع يقره المجتمع وفق ديانته وثقافته وأطر الضبط الاجتماعي بواسطة الآليات القانونية المتعارف عليها.

وان شكل الزواج ظاهرة ثقافية لدى كل المجتمعات، غير أن الاختلاف حاصل في تمثل كل مجتمع لظاهرة الزواج، و الغاية من ورائه، وما هي أهم خطواته، ومراسيمه، وما هي أبرز العلاقات التي يمكن أن تنشأ من خلال الزواج بين الأسر، والجماعات، وحتى بين القبائل والعشائر، شأن ما هو حاصل لدى المجتمعات البدوية العربية مثلا.

ان المتتبع لأغلب الأبحاث الأنثروبولوجية والمسوح التي أجراها الباحثون حول موضوع الزواج كنظام ضمن البناء الاجتماعي الكلي، يتبين له للوهلة الأولى ذلك التنوع والاختلاف الهائل بين المجتمعات والثقافات في النظرة للزواج، وطرائق اختيار القرين، وجملة العادات والطقوس، وما يتم تقديمه من عناصر مادية سواء كانت عينية كتقديم الحيوانات، أو معدنية كتقديم الثروات، أو اعطاء النقود والعملات.... ويظل الزواج يشكل ظاهرة ثقافية لدى أغلب المجتمعات، ظاهرة تمتاز بالتعقيد، تنبني عنها مسؤوليات ووظائف اجتماعية تشكل الأساس، وتبقى الوظيفة البيولوجية في هذا السياق أمرا ثانويا اذا ما تم قياسه بالمعيار الأول.

وكأمثلة على ذلك يمكن أن نأخذ الزواج لدى شعب الماساي Masai أحد شعوب كينيا بالقارة الافريقية بالجهة الشرقية، فالمجتمع هناك يقر ببعض المراسيم في مرحلة ما قبل الزواج، أولها أن يقوم الشباب بمجموعة من المراسيم والطقوس المعترف بها اجتماعيا، يشكل القيام بهذه المراسيم ايذانا بالخروج من مرحلة الطفولة، وبعدها مباشرة يغادر هؤلاء الشباب قراهم ومواطنهم الأصلية ويتجهون صوب ما يسمى بالمعسكرات، حيث يتدربون وفق مجموعة من الطرائق وفنون قتالية جديدة، انهم ينتقلون من حياة القرية الوديعة الى حياة جديدة شبيهة بحياة المحاربين، وغالبا ما يتدربون في هذه المعسكرات من قبل رجال لهم خبرة ودراية، ويعيشون حياة المعسكر لفترة قد تطول، هدفها الأسمى في الأخير هو جمع وتكوين الثروة، والتي غالبا ما تكون عن طريق الغارات، بعدها يتمكن الشاب من تكوين ثروة وغالبا ما تكون من الماشية، وبعدها يقرر العودة الى حياة القرية. وغالبا ما يقررون الزواج وتكوين أسرة خصوصا في ظل اكتساب المقومات المادية للقيام بالواجبات المطلوبة.

و قد نجد بعض الاختلاف لدى شعب ساموا Samoa بجزر بولينيزيا، فقد يعيش الفتيان والفتيات نوعا من الحرية في مرحلة من العمر في اقامة بعض العلاقات العاطفية، ولكن في آخر المطاف تلزم

اعداد / أ.د. مختار رحاب

الحتمية المجتمعية الشباب لتأسيس أسرة في اطار جدي ومشروع، وعند القيام بهذا فالشباب الذكور في هذا المجتمع يسلكون مجموعة من المراسيم، من أبرزها التودد لأسرة الفتاة من خلال ارسال وسيط وبرفقته مجموعة من الهدايا الطقوسية، وان تم قبول تلك الهدايا من قبل أهل الفتاة، فهي مؤشر على قبول عرض الزواج، وغالبا ما يتم دعوة الخاطب والوسيط لتناول وجبة غذاء وقضاء جلسة حديث عند أسرة الفتاة.

وغالبا ما يقوم الوسيط بانتقاء الكلمات المناسبة والمشحونة بعبارات التودد للفتاة من أجل قبول والموافقة على الزواج من الشاب الخاطب، والخاطب يجلس ويرقب الموقف بدقة، وقد لا يحصل الاتفاق من المرة الأولى، فيتم اعادة المحاولة مرة أخرى، وهذا من أجل احداث التهيئة النفسية للانتقال من حياة العزوبة الى تكوين أسرة ضمن حياة زوجية تترتب عليها مجموعة من المسؤوليات.

وفيما يلي تصنيف نظم الزواج تبعا لمجموعة من التمثلات والمعايير والقواعد والطقوس من خلال دراسات أجراها علماء الأنثروبولوجيا:

1- طريقة اختيار القرين الزواجي.
2- طرق ومراسيم الزواج.
3- عدد الأطراف المشتركة من خلال علاقة الزواج.
4- نظم السكن بعد الزواج.
5- مدى وثاقة رابطة الزواج.